

إحياء المناسبات الدينية

بين الواقع والطموح

مُحْفَوظَةٌ
جَمِيعُ حَقُوقِ

الطبعة الثانية

٢٠٠٩ هـ - ١٤٣٠ م

حسن بن موسى الصفار

إحياء المناسبات الدينية

بين الواقع والطموح



الحمد لله رب العالمين، اللهم صلّ على محمد
خاتم النبيين، وتمام عدة المرسلين، وعلى آله
الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

مقدمة الناشر

المجتمع في كل مرحلة من مسيرته يحتاج إلى ثقافة واعية هادية، تبصره بواقعه، وتفتح أمامه آفاق الطموح والتطوير، وتعينه على مواجهة التحديات والصعاب.

ولكي تؤدي الثقافة دورها في بناء المجتمع، وتفعيل طاقاته، وشحن هممه نحو التقدم، لا بد أن تتمتع بالموصفات التالية:

- أن تكون أصيلة نابعة من قيم المجتمع الدينية الصحيحة.
- وأن تكون معاصرة تواكب تغييرات الحياة، وتطورات الفكر.
- وأن تنبثق عنها برامج عملية تستوعب حاجات المجتمع ومتطلباته.
- وأن تمتلك لغة التخاطب مع الناس في شرائحهم ومستوياتهم المختلفة واهتماماتهم المتعددة، دون الإغراق في التنظير التجريدي والمصطلحات التخصصية المتداول في الخطاب

النخبوي، لأن التخاطب مع الجمهور يحتاج إلى أكبر قدر من
الوضوح، ومعالجة قضايا الواقع المعيش.
ونخبة المجتمع الواعية من علماء وخطباء ومفكرين وأدباء، هم
الجهة المسؤولة المعنية بإنتاج وتوفير هذه الثقافة المطلوبة.
من هذا المنطلق وعلى هذا الصعيد يمارس سماحة الشيخ حسن
الصفار حفظه الله عطاءه الثقافي الواعي عبر الكتابة والخطابة والحضور
الاجتماعي المكثف.
هذه السلسلة من الكتيبات هي تحرير لبعض المحاضرات التي
ألقاها في مناسبات مختلفة، قام القسم الثقافي في مكتب سماحته بكتابتها
وإعدادها للنشر، آمليين أن تسهم في نشر الوعي، وتدوير الأفكار البناءة،
والتنوير الثقافي للمجتمع.
راجين لسماحته من الباري عز وجل مزيد العطاء إنه ولي التوفيق.

المناسبات الدينية وفلسفة إحيائها

آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكّر الإنسان بنعم الله تعالى عليه، وتتحدث عن ألوان وأصناف تلك النعم المختلفة، التي أسبغها الله تعالى على الإنسان ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(١)، ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢)، كما تؤكد آيات عديدة على استحضار نعم الله تعالى وجعلها نصب العين والفكر، ففي ثمانية موارد جاء قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، وفي ثلاثة موارد أخرى جاء قوله تعالى: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، إضافة إلى العشرات بل المئات من الآيات الكريمة، التي تستعرض آلاء الخالق جل وعلا وعطاءاته غير المحدودة.

إن هذا التذكير من قبل الله تعالى بنعمه وآلائه، إنما يستهدف أمرين:

الأول: ليهتم الإنسان بأداء واجب الشكر تجاه المنعم، بالخضوع لله

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

تعالى والتزام أوامره، واجتناب نواهيه.

الآخر: أن يلتفت الإنسان تجاه النعم المحيطة به، ويفكر في استثمارها والاستفادة منها، فهي إنما خلقت لأجله، وسُحرت لخدمة مصالحه، وتوفير سعادته.

وبمقدار توجه الإنسان لخيرات الكون، وثروات الحياة، وسعيه لاكتشافها واستثمارها، يكون مستوى تقدمه، وتطور حياته.

فنعم الله الكثيرة الواسعة تحيط بكل البشر، ومتاحة لكل الناس، لكن هناك من يلتفت لبعض النعم ويستفيد منها، وهناك من يغفل عنها ولا يهتم بها، لقصور أو تقصير، يقول تعالى: ﴿وَكَائُنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^(١).

والمجتمعات المتقدمة، سر تقدمها وتطورها، هو توجهها واستثمارها للإمكانات والثروات المتاحة، بينما قد تتوفر نفس الإمكانات لمجتمعات أخرى، وتبقى معطلة مجمدة.

الثروات المعنوية

حركة الإنسان وفاعليته في هذه الحياة، تعتمد بالدرجة الأولى على قواه وقدراته الروحية والمعنوية، فالهمة العالية، والإرادة القوية، والاستقامة النفسية، وسعة الأفق، وتحرر الفكر، وبقظة الوجدان والضمير، والصبر والثبات، وسائر الملكات والصفات الفاضلة، كلها

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٥.

تشكل المنبع والوقود الذي يمد الإنسان بالطاقة لإدارة شؤون الحياة، ومواجهة تحدياتها.

والجهات والعوامل التي تنمي هذه الصفات في نفس الإنسان، تعتبر مصادر للثروة المعنوية، والقوة الروحية، وكلما كان رصيد المجتمع من هذه المصادر والعوامل أكبر، كانت إمكاناته أفضل، وبالتالي يكون أكثر فاعلية وسعادة ونجاحاً.

لذلك فإن القيم السامية، والمبادئ الحقة، والمناهج السليمة، هي من أعظم النعم التي تثري حياة الإنسان وتسعدها، وكما يمتن الله سبحانه وتعالى، على عباده بالآثمة المادية، ويذكرهم بها، كذلك يمتن عليهم بالنعم المعنوية، التي أفاضها عليهم عبر هديه الإلهي، ورسالاته السماوية، ويفتخرون إليها، ويذكرهم بها، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٢).

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

فَأُضْبِحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴿١﴾.

إن وجود الهدي الإلهي، والمناهج القويمية للحياة، والتعاليم والتوجيهات التي تعالج المشاكل النفسية والاجتماعية، وتربي الإنسان وتنمي قدراته وطاقاته، وتسيره في الطريق الصحيح، إن ذلك يشكل نعمة كبرى، إنه نعمة الهداية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (٢).

لكن توفر هذه النعم المعنوية شيء، والالتفات إليها واستثمارها والاستفادة منها شيء آخر، تماماً كما هو الحال في النعم المادية.

فكم من مجتمع يعيش الشقاء والتخلف، ويعاني من الانحرافات والأمراض الفتاكة - النفسية والاجتماعية - وتسوده حالة الجهل والتمزق، وبين ظهرانيه رسالة الله، وكتبه الإلهية المقدسة، وتعاليمه الدينية العظيمة، لكنها مهجورة مهملة، لا يستفاد منها كمنهج حياة، أو كمصدر إضاءة وإشعاع!

وفي تمثيل بليغ يشبهه الله تعالى مجتمع اليهود، الذين أنزل الله عليهم التوراة، فانتموا إليها بالعنوان والشكل، وعطلوا مضامينها وبرامجها في حياتهم، بأنهم كالحمار الذي يحمل أهم الكتب العلمية على ظهره، لكنه بالطبع لا يستفيد منها شيئاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

والأمة الإسلامية تمتلك آخر وأفضل الرسائل السماوية، وأكمل الشرائع، إنه الإسلام بأنظمتها الشاملة لجوانب الحياة، وتعاليمه وبرامجه الخلاقة، التي تهدي الإنسان للتي هي أقوم، وتشق له طريق السعادة والصلاح. وحينما كان المسلمون يعرفون قدر هذه النعمة، ويتمسكون بها، ويصنعون حياتهم على ضوئها، أصبحوا خير أمة أخرجت للناس. ومؤسف جداً ما تعيشه الأمة الإسلامية الآن من تخلف وانحطاط، ناتج عن خواء وضعف في القدرات المعنوية، والإمكانات الروحية، مع أنها تمتلك أضخم ثروة ورصيد معنوي روحي.

إن كل برنامج من برامج الإسلام يمكنه أن يشكل منبعاً روحياً ثراً يلهم العزيمة والقوة، ويمنح الفاعلية والنشاط، شريطة التوجه إليه، والالتزام به، وتفعيله في واقع الحياة، أما الممارسة الشكلية، والتعاطي السطحي القشري مع برامج الدين، فإنه يضعف مفعول تلك البرامج، ويجمّد دورها المطلوب.

موسم المحرم

في بداية كل سنة هجرية تستقبل المسلمين ذكرى شهادة الإمام الحسين بن علي عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته، وقد اعتادت المجتمعات الشيعية الإسلامية، الاحتفاء بهذه الذكرى، استجابة

(١) سورة الجمعة، الآية: ٥.

لتوجيهات أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث أمروا شيعتهم وأتباعهم بإحياء هذه الذكرى، والاهتمام بها، وأصبحت العشرة الأولى من شهر المحرم في كل عام موسماً حسينياً، تمتلئ بالبرامج، المكثفة، والنشاط الاجتماعي، الذي يشارك فيه كل أبناء المجتمع رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، مما يعطي هذه العشرة طابعاً استثنائياً، وحالة مميزة في واقع المجتمعات الشيعية، في مختلف أنحاء العالم.

إن الاحتفاء بذكرى عاشوراء ينطلق من دافع ديني ذاتي عند الجمهور الشيعي، ولأهل البيت عليهم السلام، وتأكيداً للهوية الخاصة في الانتماء إليهم، وتبذل في برامج هذا الاحتفاء جهود كبيرة، وإمكانات ضخمة، ضمن نشاط جماهيري أهلي، تشارك فيه كل الفئات والطبقات.

وتوفّر أجواء عاشوراء، وبرامج الاحتفاء بها، فرصاً هائلة، يمكن استثمارها والاستفادة منها في تنمية هذه المجتمعات، وتعميق الحالة الدينية، ومعالجة الكثير من المشاكل الاجتماعية، ذلك أن النفوس تكون مهياً، وتفاعل الناس كبير، وما يسمعون من سيرة الإمام الحسين عليه السلام، يجعلهم أكثر استعداداً للتجاوب والبذل والعطاء، لكن البعض من الناس يمارسون هذه البرامج كطقوس تقليدية، وشعائر متوارثة معتادة، دون أن يهتموا باستثمارها وتوظيفها لخدمة المصلحة العامة للمجتمع والوطن.

فهي ثروة عظيمة هائلة، بإمكانها أن تقدم الكثير من الخير والعطاء للمجتمع، فأين تجد مثل هذه الجموع والحشود التي تأتي بشكل عفوي

تلقائي دون تعبئة إعلامية، ولا حوافز ولا مغريات مادية، وعلى مدار عشرة أيام صباحاً ومساءً؟ وأين تلقى مثل هذا التفاعل والتجاوب العاطفي الجياش؟ ومتى ترى مثل هذا البذل السخي في المال من قبل الفقراء قبل الأغنياء؟

كل ذلك يتوفر في موسم المحرم عند المجتمعات الإسلامية الشيعية، للاحتفاء بذكرى الإمام الحسين عليه السلام. فكيف يستفاد من هذه الثروة؟ وكيف نغنم ما توفره من فرص إيجابية كبيرة؟

١. تعميق الدين

هذا الجمهور الذي يحتشد باسم الإمام الحسين، ويصرف الوقت والجهد في إحياء ذكراه، ويصغي إلى الخطباء والموجهين في مجالس العزاء، إنما يعلن عن انتباهه للدين، وانشداه القلبي والعاطفي إلى أئمة الدين وقياداته، وتجاوبه مع الشعائر والقضايا الدينية، وهذا يحملنا المسؤولية، ويوفر الفرصة الثمينة، لتوعية هذا الجمهور أكثر بأمور دينه، ولتعميق حالة التدين في النفوس، وصياغة السلوك والأخلاق والمواقف على هدي الدين.

إن برامج عاشوراء تتيح أفضل فرص التوعية والتوجيه، والناس بحاجة ماسة إلى معرفة مفاهيم الدين الحقيقية، وتجليتها عن غبار الزيف، وتراكمات الفهم القشري السطحي، ومع استغراق إنسان هذا العصر في الاهتمامات المادية الجارفة، وتعرضه الدائم لوسائل الإعلام

التي تحرض فيه الشهوات والأهواء، لتجعل منه إنساناً مادياً شهوانياً، يبحث عن اللذة، ويعبد المصلحة، ما أحوج هذا الإنسان لأجواء روحية تعبوية، تذكّره بالقيم، وتشده إلى المبادئ، وتوجهه إلى القدوات الصالحة، من الأنبياء والأئمة والأولياء.

٢. التنمية الاجتماعية

عبر برامج عاشوراء يلتقي الناس ببعضهم بعضاً، مما يؤكد وحدتهم الاجتماعية، ويرسخ عندهم الشعور الجمعي، وفي المجتمع حاجات، ومناطق ضعف، وثغرات وسلبات، لا بد من استثمار هذه البرامج لتوجيه الناس لمواجهتها ومعالجتها.

فعلى المستوى التعليمي ينبغي تحفيز الطلاب والطالبات على بذل الجهد والاجتهاد، لإحراز التفوق، ونيل أفضل المستويات والمعدلات، ولا يصح أبداً التغاضي عن انخفاض المستوى التعليمي، لما يترتب على ذلك من تأخر وتخلف.

وعلى المستوى العملي والوظيفي على أبناء المجتمع أن يشمروا عن سواعدهم، وأن يسهموا في بناء وطنهم، عبر إخلاصهم في العمل، والبحث عن الفرص الجديدة، والمشاريع المبتكرة، وتوفير الكفاءة والخبرة في مجالات التكنولوجيا الحديثة، وأن لا يرهنوا مستقبلهم بتحصيل الوظائف الجاهزة، ويعتبرونها الخيار الوحيد لبناء حياتهم.

واجتماعياً هناك مناطق ضعف في المجتمع من فقراء وأيتام

ومرضى، وهناك حاجات ومتطلبات للخدمة الاجتماعية، فينبغي التذكير بالمسؤولية الاجتماعية، وتشجيع المؤسسات العاملة كالجمعيات الخيرية الرسمية، وما يتفرع عنها من لجان كافل اليتيم، وصناديق الزواج الخيري، ومهرجان الزواج الجماعي، وغيرها. لتنهض بدورها ومهامها في هذا المجال.

إن بإمكان أجواء المحرم أن توفر زخماً معنوياً كبيراً لصالح تنمية المجتمع وخدمة أغراضه النبيلة.

٣. دروس عاشوراء

قد نقرأ عاشوراء قصة تاريخية حدثت وقائعها في زمان ومكان معين، ومن قبل أشخاص معينين.

وقد نقرأها صراعاً بين فئتين على أهداف وقضايا مختلفة.

وقد نقرأها مأساة تستثير عواطفنا ومشاعرنا.

لكن المطلوب أن نقرأها ملحمة دينية وإنسانية ملهمة، نقتبس منها الدروس والعبر، ونأخذ منها القيم والمثل.

ففي وقائع عاشوراء يتجلى الالتزام الصادق بالدين، والتضحية من أجل مبادئه، وترتسم أروع صور الوفاء، ومواقف البطولة.

في كربلاء كان هناك الشاب الذي كرّس شبابه لخدمة الرسالة والأمة، والمرأة التي كافحت بحجابها وعفافها، ومنطقها وصمودها، إلى جانب نصره الحق، والشيخ الطاعن في السن الذي لم يقعد به ضعفه

وشيبته عن المشاركة في معركة الفداء، والأخ الوفي المواسي لأخيه في أحلك الظروف، والجماعة المؤمنة التي لم تتوانَ عن أداء الصلاة عند وقتها تحت مشتبك الأسنة والرماح، والمصابون المثكلون الذين لم تنل الرزايا والخطوب الفادحة من ثباتهم واستقامتهم..

إنها صور رائعة، ودروس عظيمة، يجب أن نقرأها، لنستلهم منها القيم والعبر، بما ينفعنا لإصلاح حاضرنا وبناء مستقبلنا على ضوء المبادئ والقيم.

٤ . الوحدة الوطنية والإسلامية

التحديات التي تواجهنا على المستوى الوطني والإسلامي، يجب أن تدفعنا جميعاً إلى التوحد والتلاحم، وتنوعنا المذهبي سنة وشيعة، لا يبرر التباعد والخلاف، ما دمنا نتفق على الأصول، ويجمع بيننا الوطن الواحد والمصلحة المشتركة.

وبرامج عاشوراء يمكن الاستفادة منها في تعزيز الوحدة الوطنية والإسلامية، بأن تكون لغة الخطاب إسلامية تتجاوز الإثارات والمهاترات الطائفية، وأن تشكل برامج عاشوراء فرصة مناسبة لاطلاع بقية المسلمين على آراء وممارسات إخوانهم الشيعة، حيث راجت في بعض الأوساط إشاعات وانطباعات مشوهة خاطئة، عن حقيقة معتقدات الشيعة، وكيفية إحيائهم لموسم المحرم.

والحمد لله، فالحسينيات مفتوحة في كل مكان في العالم، والبرامج

علنية، فليس هناك مبرر للتشبث بالشائعات والدعايات المغرضة، ما دامت فرصة التعرف المباشر متاحة.

وذكرى الإمام الحسين يجب أن تكون مناسبة لتعزيز وحدة الأمة، فالحسين قضية إسلامية عامة، وليس مشروعاً مذهبياً خاصاً، وهو إنما ثار واستشهد من أجل إصلاح الأمة ومصحتها، كما يقول عليه السلام: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً. وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي عليه السلام أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق. ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

القدوة الرسالية

الحياة عند كلِّ إنسان تعتبر تجربة جديدة، فهو يأتي إليها لسفرة واحدة فقط، غير قابلة للتكرار، ويواجهها دون سابق خبرة أو معرفة، لذا فإنَّ الفشل في تجربة الحياة لا يمكن تداركه أو تعويضه، وكما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ﴾^(١).

ولكن كيف يُنجح الإنسان تجربته الواحدة الوحيدة في هذه الحياة، وهو يواجهها كمتاهة واسعة، مزروعة بالألغام، مليئة بالشهوات والمغريات، تتشعب فيها الطرق، وتتعدد الخيارات؟

إنه بأمس الحاجة إلى خريطة واضحة، تدله على طرق النجاة، وتنبهه على مناطق الخطر.. وذلك هو الدور الذي تؤديه الرسالات السماوية، التي تفضّل الله تعالى بها على الإنسان لهدايته، وإنجاح تجربته في هذه الحياة.

لكن وجود الخريطة والبرنامج قد لا يكون كافياً وحده، بل هو بحاجة إلى تعزيز وتفعيل، يجعل الإنسان أكثر ثقة وأقوى إرادة، على

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

انتهاج طريق الهدى والصواب.

وذلك عبر وجود القدوات، التي تجسد أمام الإنسان برنامج الهداية والصلاح في هذه الحياة، وتقدم له تجربة حيية ميدانية، في الالتزام بالقيم، وتحقيق الاستقامة.

إن وجود قدوات صالحة ناجحة، أمام الإنسان في هذه الحياة، يحقق العديد من النتائج والأغراض، من أهمها ما يلي:

١. التبشير بالقيم

إن القيم الفاضلة، والمبادئ الحقة، تحتاج إلى من يتبنى نشرها في المجتمع الإنساني، ويبشّر بها ويدعو الناس إليها، ولا يقوم بهذه المهمة على أفضل وجه، إلا من كان عارفاً بتلك القيم، مستوعباً لها، ملتزماً بها، ليكون صادقاً فيما يطرح، مخلصاً للوظيفة التي يؤديها.

٢. التجسيد الحي

تطبيق القيم، والالتزام بالمبادئ، يستلزم حالة من الصراع والصدام مع الأهواء والشهوات في نفس الإنسان، وهي متجذرة راسخة قوية، إلى حد يتصور فيه الإنسان نفسه عاجزاً عن مواجهتها، فيبرر ضعف إرادته، واستجابته لضغوط الهوى، بمختلف التبريرات، ومن أقواها تضليلاً وإغراءً لنفس الإنسان، القول بمثالية القيم والمبادئ، وأن الالتزام بها برنامج نظري خيالي، وأن تجسيدها وتطبيقها شيء غير ممكن، مادام الإنسان هو الإنسان بشهواته وأهوائه ورغباته.

ومثل هذا التصور (مثالية القيم) يرتاح له الإنسان، لأنه يشكل تبريراً لاعتدائه على هذه القيم، وخروجه عن حدودها، فهو لا يرى نفسه حينئذٍ مسؤولاً عن الالتزام بها، ولا يحاسب نفسه على احترامها، ما دام يعتقد أنها مجرد نظريات مثالية غير قابلة للتطبيق والالتزام. وواضح كم هو خطير هذا التصور على سعادة المجتمع الإنساني، ولكن كيف ندرء عنه هذا الخطر؟.

لا يمكننا ذلك إلا إذا أثبتنا للإنسان خطأ هذا التصور، وأقنعناه بواقعية تلك القيم، وإمكان تجسيدها، وهذا لا يتم إلا بوجود مجموعة من الناس، يتحملون مسؤولية الالتزام بهذه القيم، وتجسيدها في الواقع الحياتي، في الوقت الذي يكونون فيه كسائر أفراد البشر، من حيث امتلاك الغرائز والرغبات، والعيش في نفس الظروف والأجواء. ووجود هذه الفئة التي تطبق القيم حرفياً، وتحمل كل الصعوبات في سبيل ذلك، يشكل دفعاً قوياً لسائر الأفراد للالتزام بالقيم، والاقتراء بتلك الفئة، وتقمص أدوارها ومواقفها.

٣. لله الحجة البالغة

من ناحية أخرى فإن الله تعالى سيطالب الإنسان ويحاسبه يوم القيامة، على مدى تمسكه والتزامه بتلك القيم، فإذا كان الإنسان يعتقد مثالية تلك القيم، واستحالة تطبيقها، فستكون له الحجة على الله، وسوف لا يكون من حق الله تعالى أن يحاسبه على الالتزام بشيء لا يرى

نفسه قادراً على الالتزام به.

إذاً فلا بد أن يقيض الله تعالى في هذه الحياة أفراداً من البشر، يقومون بدور التطبيق و التجسيد لهذه القيم.

ولهذا أوجد الله تعالى الأنبياء والأئمة، وهذا هو دورهم الرئيس في الحياة، يقول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(١).

ولذلك نسمي الإمام حجة الله، ونطلق على الأئمة حجج الله على خلقه.. والحديث التالي يوضح لنا هذه الحقيقة:

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: يئوتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة التي قد افتنت في حسنها فتقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت ما لقيت. (لاحظ كيف تعتبر الانحراف شيئاً طبيعياً لأنه لا يمكنها الالتزام مع وجود دواعي الإغراء)، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسناها فلم تفتتن.

ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يا رب حسنت خلقي حتى لقيت من النساء ما لقيت. فيجاء بيوسف عليه السلام ويقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسناه فلم يفتتن.

ويجاء بصاحب البلاء الذي قد أصابته الفتنة في بلائه. فيقول: يا رب شددت عليّ البلاء حتى افتنت. فيؤتى بأيوب فيقال: أبلبتك أشد

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

أو بلية هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتن^(١).

٤ . التفاصيل والمنعطفات

قد تكون العناوين العامة للقيم واضحة في أذهان بعض الناس، ويلتزمون بمراعاتها حينما يتوفر لهم الوضوح في المواقف والموارد. لكن هناك بعض الجوانب التفصيلية، وبعض الحالات الدقيقة، والمنعطفات الحساسة، تحتاج من الإنسان شفافية كبيرة، وإرادة قوية، ونظر ثاقب، حتى لا تلتبس عليه الأمور، وتختلط الأوراق، ثم قد تتزاحم القيم والمبادئ في موقف من المواقف، فيرتبك الإنسان في الالتزام بأبيها. وهنا يأتي دور القدوات الصالحة الناجحة، القادرة على تشخيص المواقف، ومعرفة تفاصيل القضايا وتطبيقاتها، وتحديد الأولويات، ومعالجة الحالات الحساسة الخطيرة.

الأنبياء والأئمة

لكل ذلك، فإن الله سبحانه وتعالى نصب الأنبياء والأئمة، إلى جانب إنزال الشرائع والكتب السماوية، ليكونوا قدوات للناس، على طريق الخير والهدى.

إنهم قدوات للبشر على امتداد التاريخ، لذلك خلد الله تعالى ذكرهم وسيرهم، عبر وحيه وقرآنه، ففي القرآن الكريم سور باسم الأنبياء

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار ج١٢، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص ٣٤١.

والأولياء، كسورة آل عمران، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة يوسف، وسورة إبراهيم، وسورة مريم، وسورة الأنبياء، وسورة لقمان، وسورة محمد، وسورة نوح، كما أن الحديث عن قصص الأنبياء ومواقف الأولياء، مبثوث في مختلف سور القرآن، وفي العديد من آياته.

إنه تعالى يأمر نبيه محمد ﷺ بأن يتحدث للناس عن حياة هؤلاء القدوات العظام كقوله تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾^(١).

﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢).

﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٣).

﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾^(٤).

وذكر سيرهم وقصصهم إنما هو لتقديمهم كنماذج وقدوات للبشر، كما يقول تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمِ اقْتَدِهِ﴾^(٥). ويقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(٦). ويقول

(١) سورة مريم، الآية: ١٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤١.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٤) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

(٦) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١).

القدوات الزائفة

وفي هذا العصر بالذات، ما أحوج المجتمعات البشرية إلى إبراز القدوات الصالحة، حيث إن إعلام الحضارة المادية، يصنع ويقدم للناس قدوات زائفة فاسدة، تتمثل في العناصر المتاجرة بجهاها ومفاتها، والمجاهرة بالانحراف والفساد الأخلاقي، فالمجلات والصحف تتسابق على نشر صور المغنين والمغنيات، والممثلين وعارضات الأزياء، وعلى متابعة أخبار هذه الطبقة، بما فيها من مجون وخلاعة وفساد، وفي عصر العولمة، أصبحت هذه العناصر بترويج الإعلام لها شخصيات عالمية، تنتشر صورها وأخبارها في كل مكان.

ولا زال العالم يتذكر كيف شغلت (ديانا) في حياتها، مساحة واسعة من اهتمام الناس، في شتى بقاع الدنيا، وكيف كانت أخبارها تغطي بدقة ومتابعة، وكيف أصبحت وقاتها الحدث الأبرز والأهم لفترة من الزمن، فبكاها الكثيرون، ورثاها الشعراء والأدباء، وتابع مراسيم تشييعها مئات الملايين، ومعروف أنها كانت ذات مغامرات عاطفية لا شرعية حتى لحظة مقتلها بصحبة عشيق، وقد اعترفت بخيانتها لزوجها ولي عهد بريطانيا على مرأى ومسمع من العالم كله.. وهي بهذه السيرة تقدم كنموذج وشخصية رائدة!!.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

القدوات الرسالية

لعل من أهم فوائد المناسبات الدينية، التي تهتم مجتمعاتنا بإحيائها، كذكريات مواليده النبي والأئمة من أهل بيته ﷺ وذكريات وفياتهم، أنها تشكل فرصة جيدة لتعريف أجيال المجتمع بالقدوات الصالحة، ولتقديم سيرة النبي والطاهرين من أهل بيته، كنماذج للتأسي والافتداء.

فإحياء هذه المناسبات، تذكير للأمة بالقدوات والنماذج الصالحة، وتوثيق للتواصل بين أبناء الأمة وتاريخهم الإسلامي المجيد، وهي إطلالة على الصفحات المشرقة من سير الأولياء والسلف الطاهر.

وكم هو رائع ومفيد أن تجتمع هذه الحشود الضخمة من الناس، رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، للاحتفاء بذكرى استشهاد الإمام الحسين في عاشوراء، أو في المناسبات المشابهة، وأن يتفاعلوا مع أحداث نهضته المباركة، ويصغوا إلى تفاصيل سيرته العطرة، ويظهروا تعاطفهم وتفاعلهم مع مواقفه المبدئية!

إن ذلك يوقر في نفوسهم زخماً روحياً، وأصالة إيمانية، ويجعلهم أقرب إلى خط وسلوك أولئك الرجال الإلهيين الصالحين، وأبعد عن طريق مناوئتهم من الظالمين والمنحرفين.

لذلك ينبغي أن تُوظفَ هذه المناسبات من أجل إنجاز هذا الهدف، بحيث يتعرف أبناؤنا حياة أئمتهم الهداة، ويتحفزون للاقتداء بهم في التزامهم المبدئي، واستقامتهم الأخلاقية، وتمسكهم بالقيم الفاضلة.

وحتى ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام ينبغي أن يكون ضمن هذا السياق، وليس مجرد إثارة لعواطف الحزن والأسى.

تطوير الوسائل

في الماضي كانت الوسيلة المتاحة لتخليد ذكريات وسير الأنبياء والأئمة عليهم السلام، هي التحدث الشفهي عنهم، بالخطابة أو إنشاد الشعر، وتلاوة كتب السير، أما الآن فقد توفرت وسائل أكثر تطوراً وتأثيراً في النفوس، وينبغي أن يستفاد منها في عرض حياة الأولياء، وإبراز مواقفهم المشرفة، ليملاؤوا نفوس ومشاعر الجيل المعاصر كقدوات رائدة، ونماذج للتأسي والاتباع.

ومن أبرز تلك الوسائل: المسرح والفيلم والرواية، واقتحام وسائل الإعلام الحديثة، كالقنوات الفضائية، وشبكات الإنترنت، والصحافة اليومية.

والجميع يعرف مدى الإقبال والتأثير الذي حققه فيلم (الرسالة) عن حياة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فلماذا لا يكون هناك توجه دائم، واهتمام مستمر، بإنتاج مادة إعلامية ثقافية متطورة عن حياة القادة الهداة؟ لقد كانت هناك محاولة رائدة لإنتاج مسرحية عن ثورة الإمام الحسين وشهادته، في القاهرة مطلع السبعينيات، لكنها أجهضت مع شديد الأسف، ولم تبذل جهود لإحيائها، وقد أشار إلى الموضوع السيد (فارس واكيم) ضمن مقال له في جريدة الحياة قائلاً:

(بعد شهر من التمرينات منعت الرقابة في مصر في مطلع السبعينيات عرض مسرحية «الحسين ثائراً والحسين شهيداً» للشاعر (عبد الرحمن الشرقاوي) على رغم سماحها بنشر النص في كتاب صادر عن هيئة نشر رسمية.

ومرد المنع إلى رفض الأزهر السماح بظهور شخصية الحسين على المسرح، ولما كان النص مقبولاً من الناحية الدينية، اقترح الشرقاوي إبقاء المسرحية كما هي، على أن يسبق الكلام الذي تقوله شخصية الحسين، تنبيه من شخصية أخرى، تعلن: قال الحسين.. لكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض أيضاً.

كنت في القاهرة في طريق العودة إلى بيروت طلب مني الشرقاوي عرض الأمر على الإمام موسى الصدر، قابلت الإمام وسلمته النص، قرأه وقال إنه يرحب بعرض المسرحية في بيروت، لكن الحرب الأهلية نشبت في العاصمة اللبنانية، ثم غيب الصدر، ثم توفي عبد الرحمن الشرقاوي.. وطويت المسألة^(١).

نأمل أن تهتم الجهات الدينية، ومسؤولو الأوقاف المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام، وكل من يعي أهمية إحياء ذكريات الأئمة الهداة عليهم السلام بهذه المسألة، لتتاح الفرصة لأجيالنا المعاصرة، ولأبنائنا الأعزاء، للاطلاع على حياة وسير القادة الإلهيين الهداة.

(١) فارس واكيم. جريدة الحياة، بتاريخ ٢٣ أيار ١٩٩٣ م.

سيرة الأئمة ومناهج العرض

من نعم الله تعالى على مجتمعنا وجود هذه العادة الطيبة، إحياء المناسبات الدينية المرتبطة بذكرات النبي محمد ﷺ والأئمة الهداة من أهل بيته، بعقد المجالس والاحتفالات، وإلقاء الخطب، والمحاضرات والأناشيد.

هذا الإحياء والاحتفاء بالمناسبات الدينية، نعتبره مصداقاً لبعض العمومات الواردة في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١)، والآية وردت في الحديث عن الهدي ومناسك الحج، لكن عدداً من العلماء رأى أن مناسك الحج هي مصاديق للشعائر التي ينبغي تعظيمها، ولا تنحصر بها. يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي النجدي: (والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة، ومنها المناسك كلها)^(٢).

وكذلك قوله تعالى: ﴿لِئْتُمْؤِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يُعَزِّزُوهُ وَتُؤَقِّرُوهُ

(١) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: مؤسسة الريان)، ص ٨٨١.

وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿١﴾ بناءً على أن الضمير في ﴿وَتُعَزَّرُوهُ وَتُوقِّرُوهُ﴾ عائد إلى رسول الله ﷺ كما هو اختيار جمع من المفسرين، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه (٢) واختاره الشيخ السعدي النجدي قال: (أي تعزروا الرسول وتوقروه، أي تعظموه وتجلوه، وتقوموا بحقوقه) (٣).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٤) وإحياء ذكريات أهل البيت إظهار لمودتهم.

إضافة إلى النصوص المروية عن أئمة أهل البيت رضي الله عنهم، التي تحت وتشجع على إحياء هذه المناسبات والاحتفاء بها. ومعلوم أن أتباع أهل البيت يعتبرون كلام الأئمة حجة شرعية، يُستند إليها ويُعتمد عليها، لأدلة عقلية ونقلية، ذكروها في بحوثهم الكلامية والعقدية.

ولإحياء هذه المناسبات منافع وفوائد عظيمة، فهي تتيح فرصة كبيرة للتذكير بالقيم والمبادئ الدينية، وتحقيق الانشداد والولاء في النفوس، لرسول الإسلام وأهل بيته رضي الله عنهم، وتبقي شخصياتهم في موقع القدوة والأسوة.

كما تعتبر تنشيطاً وتفعيلاً للحالة الدينية في المجتمع، وللتواصل الاجتماعي في إطار التوجهات المبدئية.

(١) سورة الفتح، الآية: ٩.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير، سورة الفتح آية ٩، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ، (بيروت: مؤسسة التاريخ)، ص ١٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، سورة الفتح آية ٩، ص ١٣٣٨.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

مناهج العرض

حياة رسول الله ﷺ والأئمة من أهل البيت ﷺ، تشكل تجسيداً عملياً لقيم الإسلام، وهي مصدر من مصادر التشريع والفكر الإسلامي، كما تزرخ بالعلوم والمعارف، والدروس والعبر.

ولا شك أن تعرف الأمة حياة النبي ﷺ، والأئمة ﷺ، أمر مطلوب، لتحصيل المعرفة والوعي بالدين، وبتاريخه ومعالم حضارته.

والاحتفاء بالمناسبات الدينية هو أفضل فرصة لتعريف الأمة بحياة قادتها الهداة، فحينما يُحتفى بالمولد النبوي الشريف، فذلك يتيح المجال للحديث عن حياة رسول الله ﷺ، وسيرته العطرة، وأخلاقه العظيمة، وهدية الرسالي. وكذلك في مناسبة أي إمام من الأئمة، إنما يجب أن توظف وتستثمر في استحضار سيرة ذلك الإمام، ومواقفه النبيلة، وتوجيهاته الصالحة.

وذلك هو الأمر المألوف والمتعارف عليه في احتفاء مجتمعنا بهذه المناسبات. لكننا نلاحظ أن مناهج العرض، وأساليب الطرح، لسيرة الرسول ﷺ والأئمة تختلف من خطيب إلى آخر، حسب اختلاف التوجهات والمستويات، ولعل من أبرز تلك المناهج ثلاثة:

العرض التاريخي

حيث يتم عرض حياة النبي ﷺ، أو الإمام ﷺ، منذ ولادته، وحتى وفاته، في الجانب الشخصي، كالحديث عن زوجاته وأولاده ومواليه،

وطريقته في العيش، وفي الجانب الاجتماعي، كتلامذته، وتنقلاته، ومناظراته، وعلاقته مع حكام عصره، ومراكز القوى في مجتمعه، وما لقي من الحوادث والمشاكل..

ويتهج كثير من الخطباء هذا الأسلوب، ليسره وسهولته، ووفرة المصادر حوله، ولارتياح شريحة كبيرة من المستمعين له.

ولهذا المنهج فائدة طيبة، تتمثل في تقديم السيرة الذاتية، لصاحب المناسبة، ورسم صورة عامة لحياته في أذهان المستمعين، وهي لا تخلو من الدروس والعبر النافعة. وخاصة إذا صاحبها التحليل والدراسة الموضوعية.

المنهج العاطفي

ويتكون هذا المنهج من بعدين:

الأول: الكرامات والمعجز

يتبع هذا المنهج التركيز على مسألة الكرامات والمعجز، والجوانب الغيبية في حياة النبي ﷺ، والأئمة ؑ. للتأكيد على المكانة الخاصة التي يحظون بها عند الله سبحانه وتعالى، فهم وإن كانوا من البشر، لكن صلتهم المميزة بالله سبحانه، وموقعيتهم لديه، تمنحهم قدرات غير طبيعية، وإمكانات غير متعارفة.

فقد يتحدثون عن أمور غيبية هم مطلعون عليها.

وقد يفعلون ما هو خارق للعادة لإثبات صدقهم أمام الآخرين.

وإمكانية ذلك عند الأنبياء أمر واضح، تحدث عنه القرآن الكريم، واتفق المسلمون على حصوله من رسول الله ﷺ.

فنبى الله عيسى بن مريم ﷺ يقول حسبما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(١).

أما عند غير الأنبياء من الأئمة والأولياء، فإن القرآن الكريم يتحدث عن مريم بنت عمران بقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

ويتحدث القرآن الكريم عن القدرات الخارقة لأصحاب نبي الله سليمان ﷺ، حينما طلب إحضار عرش بلقيس من اليمن: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾^(٣).

قال الشيخ السعدي النجدي: (والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام، فيكون بينه وبين سبأ، نحو مسيرة أربعة أشهر، شهران ذهاباً، وشهران إياباً.. قال المفسرون: هو رجل عالم صالح، عند سليمان يقال

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٤٠.

له: (آصف بن برخيا) كان يعرف اسم الله الأعظم، الذي إذا دعا الله به أجاب، وإذا سأل به أعطى^(١).

وتأسيساً على ذلك لا مانع من أن تصدر عن الأئمة والأولياء كرامات وتصرفات خارقة للعادة، من علم ببعض الغيبات، أو قدرة على القيام ببعض الأعمال غير الممكنة عادة.

وإنما يتحدث عنها الخطباء لإظهار مكانة الإمام عند الله تعالى، مما يؤثر في نفس المستمع، ويجعله أكثر محبة وولاءً للإمام. لكن يجب التنبيه هنا على أمرين:

١. حقيقة الكرامات

إن هذه الكرامات لا تصدر عن قدرة ذاتية للإمام أو الولي أو النبي، وإنما بإذن الله تعالى، فلا أحد له سلطة أو تصرف في شيء من أمور الكون والحياة إلا الله تعالى، والأنبياء والأئمة إنما يمنحهم الله تعالى القدرة على القيام ببعض هذه التصرفات بإرادة وحكمة منه، ليعرف الناس صدق رسالتهم، وصحة مسارهم، ولتؤكد مكانتهم في النفوس، فتقبل دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته.

٢. الحذر من الوضع والاختلاق

الأمر الآخر الذي يجب التنبيه عليه، هو الحذر من الموضوعات والروايات المختلفة والضعيفة السند، فليس كل ما ورد في الكتب، من معاجز وكرامات للأنبياء والأئمة والأولياء، يحمل على الصحة،

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تفسير سورة النمل آية ٤٠.

ويتحدث به للناس، بل ينبغي الأخذ من المصادر المعتمدة، ودراسة طريق الرواية والسند، فقد حصلت سوق رائجة لهذا النوع من الروايات، وهناك كذبة وضاعون، وهناك دسّ وتسريب لتشويه صورة الدين، وسمعة مذهب أهل البيت عليهم السلام.

عن ابن سنان قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنا أهل البيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس»^(١).

وقد جاءت روايات عديدة عن الأئمة عليهم السلام، بلعن بعض الرواة الوضاعين والكذابين، الذين اختلقوا وبثوا روايات فيها مبالغات وغلو، واصطناع قضايا لم تحصل، ونسبتها إلى الأئمة عليهم السلام، كما أن هناك من اختلق الروايات بهدف جذب الأنظار إلى الأئمة، وتعظيم مكانتهم، كالذي ينقل عنه أنه اختلق أحاديث في فضل سور القرآن، مبرراً ذلك بأنه رأى إعراض الناس عن القرآن، فأحب تشويقهم إليه، بالطبع هذه وسيلة مرفوضة.

وتداول في مجتمعنا بعض الروايات التي أكد العلماء عدم صحتها، كخطبة البيان المنسوبة للإمام علي عليه السلام التي تحكي عن بعض المغيبيات، وقد سئل عنها الإمام الخوئي رحمه الله فأجاب: (لا أساس لها)^(٢).

(١) بحار الأنوار. ج ٢٥ ص ٢٦٣.

(٢) السيد أبو القاسم الخوئي. صراط النجاة ج ١، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ، (الكويت: مكتبة الفقيه)، ص ٤٧١ مسألة ١٣٣١.

وكذلك قصة (حلّال المشاكل) التي تتداول كثيراً في مجتمعنا النسائي، وهي قصة مجهولة المصدر، ولا تمثل نصاً دينياً يستوجب هذا الاهتمام والقداسة، كما أن ما تحتويه من مضمون وعبارات واضح الركافة والضعف.

الآخر: جانب الماساة والمعاناة

ويتمثل البعد الثاني من المنهج العاطفي، في إبراز ما حلّ بأهل البيت من المصائب والمآسي، من قبل أعدائهم الظالمين والحاسدين لهم، لإظهار مظلوميتهم، ذلك أن الإنسان بطبيعته السويّة يتعاطف مع المظلوم، وخاصة إذا كان من العطاء والصالحين، كما أن ذلك يبيّن سوء الطرف الآخر المناوئ لأهل البيت ﷺ، وكيف أنه تجاوز الحدود والموازن الإسلامية والإنسانية، في عدوانه عليهم، مما يعبئ جمهور المستمعين ضده، ويؤكد نفورهم منه.

الطرح العلمي الحضاري

النبى ﷺ وأهل بيته الكرام ﷺ إنما يعبرون بسيرتهم وأقوالهم عن مشروع إلهي، يستهدف تنوير البشرية، ودفعها نحو مستوى حضاري أرفع، فهم ليسوا مجرد عبّاد زهّاد، ولا أصحاب طريقة صوفية، وليسوا زعامات سياسية تصارع من أجل المواقع والمناصب، بل هم حملة رسالة إلهية، ومشروع حضاري.

ومن يدرس سيرتهم بعمق، ويقرأ حياتهم بوعي، ويتأمل آراءهم

وكلماتهم، يجد بوضوح تركيزهم على استثارة العقل، وتنمية المواهب والطاقات، وتوجيههم نحو العلم والمعرفة، والفاعلية والإنتاج. وفي أحاديثهم وأقوالهم إشارات جلية لنظريات علمية، حول الطبيعة والحياة، لم يكتشفها العلم الحديث إلا مؤخراً، كما أن مدرستهم قد خرّجت علماء بارزين في مختلف المعارف والعلوم. أما خطبهم وتوجيهاتهم، فتتضمن برامج لتنظيم المجتمع، تربوياً وسياسياً واقتصادياً، وفي شتى ميادين الحياة. إن تقديم الأئمة من خلال مشروعهم الحضاري، وعطائهم العلمي المعرفي، هو ما تحتاجه البشرية في هذا العصر، وهو ما يساعد الأمة الإسلامية على تجاوز واقع التخلف، والانطلاق نحو آفاق الحضارة.

أفضل وثيقة سياسية

وكنموذج من عطاء أهل البيت عليهم السلام الذي يجب الاهتمام به، والتركيز عليه، وبثه ونشره في أوساط الأمة، عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشر النخعي، حين ولّاه مصر سنة ٣٩هـ. هذا العهد الرائع الذي يمثل أفضل وثيقة سياسية شاملة في التراث الإسلامي، حيث تحدث فيه الإمام عن واجبات الحاكم تجاه رعيته، وأخلاق تعامله معهم، وعن اختيار الوزراء والموظفين، وضرورة مراقبتهم وإرشادهم، وعن ضرورة استفادة الحاكم من الكفاءات العلمية، ثم عن طبقات الشعب بحسب أدوارها ومهامها، وأهمية كل طبقة وحقوقها وواجباتها، كالعسكريين، والقضاة،

والتجار، والصناعيين، وعامة الموظفين، والضعفاء ذوي الحاجات. وكما قال المحامي توفيق الفكيكي الذي شرح هذا العهد ضمن كتاب طبع سنة ١٩٣٩م في بغداد بعنوان (الراعي والرعية) قال: (وهذا العهد من أهم العهود التي قطعها خلفاء المسلمين وملوكهم إلى عمالهم وولاتهم في تدبير شؤون المملكة الإسلامية. والحق يقال إن القواعد التشريعية السياسية والإدارية والقضائية والمالية والنظريات الدستورية التي قررها الإمام علي كرم الله وجهه في عهد مالك النخعي تعد (مثلاً) علياً) للحكم الديمقراطي في الإسلام إذا قيست بنظم الحكم اليوم من ديمقراطية ودكتاتورية، وبأحدث النظريات السائدة اليوم في العالم المتمدن^(١).

منهجية العلماء الغربيين

إن من المفارقات العجيبة أن يبادر علماء الغرب إلى استكشاف الجوانب العلمية والمعرفية في حياة أئمة المسلمين، بينما نكتفي نحن المحسوبين على هؤلاء الأئمة، بتكرار مصائبهم ومعجزتهم، دون أن نتوجه إلى علومهم ومعارفهم، في مختلف ميادين الحياة، مع حاجتنا الماسة إليها.

لقد بادرت جامعة (استراسبورغ) الفرنسية إلى عقد دورة علمية عن التاريخ العلمي والحضاري للإمامية، وحيات الإمام جعفر الصادق

(١) توفيق الفكيكي. الراعي والرعية، الطبعة الثانية ١٩٦٢م، (بغداد: مكتبة المعارف)، ص ١٥.

وفكره، في شهر مايو ١٩٦٧م، وشارك في هذه الدورة أكثر من عشرين عالماً، من أعلام المستشرقين والعلماء في الجامعات الأوروبية، وشاركهم علماء متخصصون من جامعات لبنان وإيران. ونشرت هذه البحوث الأكاديمية من قبل دار المطبوعات الجامعية الفرنسية في باريس عام ١٩٧٠م. وترجمت هذه البحوث إلى اللغة العربية وطبعت ضمن كتاب تحت عنوان (الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب) وفي مقدمة الترجمة العربية كتب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي الأستاذ بجامعة الأزهر العبارة التالية: (إن القارئ لهذه الفصول ليقف أمام صفحاتها المضيئة مذهولاً حقاً، ولسوف يجد نفسه أمام عظمة هذه الروح العلمية، التي انعكس ضوءها على هذه الدراسات، فكان من وراء ذلك عالم فسيح كشف عنه هؤلاء العلماء، وبدا في صدر هذه الصور الرفيعة صورة الإمام جعفر الصادق، مشرقة شاحخة بفكره الرفيع، وبشخصيته الجليلة المهيبة، وبحكمته الصادقة، وتجاربه الواسعة في فهم الحياة والناس. وتجلت عظمة هذه الشخصية في عظمة هذه البحوث، فكان من وراء ذلك كله حقيقة رائعة، لم نكن نعرف عنها شيئاً، حقيقة هذا العقل العظيم، الذي بنى للإنسانية وللإنسان أروع ما يمكن أن يبينه من أصول حضارة الدنيا ورفاهيتها)^(١).

ومن تلك البحوث التي تناولها العلماء الغربيون نظريات الإمام

(١) نور الدين آل علي. الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، (بيروت: مؤسسة الوفاء)، ص ١١

الصادق في المجالات التالية: نشأة الأرض - نشأة الكون - الأدب - نقد التاريخ - نظرية الضوء - نسبية الزمن - أشعة النجوم - قضايا البيئة - حركة الموجودات - الطب وأسباب بعض الأمراض - الفلسفة والحكمة والفرق بينهما - الرضاة السليمة - الموت والفناء وغير ذلك من الأبحاث.

إن مثل هذه المبادرات والبحوث لتشعرنا بتقصيرنا الكبير تجاه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فمع أننا نحیی مناسباتهم، وتحت أيدينا أوقاف ضخمة مرصودة للإنفاق على ما يتعلق بهم، وهناك موارد حق الإمام من الخمس، إلا أن سعينا في إحياء علومهم ومعارفهم لا يزال محدوداً، وضمن دائرة ضيقة.

إننا بحاجة إلى مراكز دراسات علمية، لدراسة حياتهم وأفكارهم. وبحاجة إلى دعم بعض العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات لكي يتفرغوا لإعداد البحوث المختصة بسيرتهم وآرائهم العلمية.

وبحاجة إلى تنشيط حركة الطباعة والنشر للكتب التي تتضمن كلماتهم وتوجيهاتهم، كنهج البلاغة، والصحيفة السجادية، ورسالة الحقوق، وسائر آثارهم المباركة، مع شرحها وترجمتها إلى مختلف لغات العالم الحيّة.

وكل ذلك بحاجة إلى عمل مؤسساتي، لكن المبادرات الفردية يمكنها أن تملأ جزءاً من هذا الفراغ.

اختيار المنهج

وإذا كانت مناهج العرض لحياة الأئمة وسيرتهم متعددة، فإن كل منهج منها يتكامل مع الآخر، واختيار أحدها لا يعني إلغاء المناهج الأخرى، إذا طرحت بالشكل الصحيح، الذي يستهدف التعريف بالأئمة، وشدّ الأمة إليهم، واستفادتها من بركات عطائهم. لكنه ينبغي مراعاة الزمان والمكان والمخاطبين في اختيار أي منهج من هذه المناهج، وخاصة بالنسبة للخطباء الكرام، الذين يتحدثون في المناسبات الدينية.

ونلاحظ هنا أن الإمام علي الرضا عليه السلام يركز على أهمية المنهج الثالث، أي الطرح العلمي الحضاري، كما يستنتج ذلك من الحديث الذي يرويه عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا» فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال: «يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»^(١).

حقاً إن علوم أهل البيت ومعارفهم لو عرضت للناس عرضاً صحيحاً، لاستقطبت كل الواعين المخلصين، ولأسهمت في رفع مستوى جمهور الأمة، ومعالجة مشاكل المجتمع.

(١) الشيخ عزيز الله العطاردي. مسند الإمام الرضا ج ١، الطبعة الثانية ١٩٩٣م، (بيروت: دار الصفوة)، ص ٦.

عاشوراء وقضايا الأمة

إحياء قضية عاشوراء ليس معالجة لحدث تاريخي تجاوزه الزمن،
وليس المقصود منها إعلان المناوأة والعداء لشخص يزيد بن معاوية،
وأقطاب حكمه، وجنود جيشه، فهم جميعاً قد أصبحوا في مزبلة التاريخ،
ونالهم ما يستحقون من العقاب الإلهي.

ولا يستهدف الاحتفاء بعاشوراء الانتصار لشخص الإمام الحسين
وأصحابه، فقد كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وهم
أحياء عند ربهم يرزقون، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وإحياء عاشوراء ليس قضية مذهبية طائفية يستغلها مذهب تجاه
المذاهب الأخرى، أو تشهرها طائفة في مقابل سائر الطوائف.

فالحسين عليه السلام ما ثار باعتباره ممثلاً لطائفة خاصة، أو إماماً لمذهب
معين، بل فجر نهضته المباركة من أجل الأمة كلها، وباعتباره يمثل
الامتداد الطبيعي والرسالي لجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي قال عنه:
«حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسيناً» أخرجه ابن

ماجه والترمذي وابن حنبل^(١).

والحسين في بيانات وخطب ثورته، كان يتحدث عن إحقاق الحق، ومواجهة الباطل والظلم، والسعي لإصلاح شأن الأمة كلها، يقول ﷺ: «إنها خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

ويقول ﷺ: «أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت».

ويقول ﷺ: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً».

وهكذا كل خطبه وشعاراته تتحدث عن واقع الأمة، والدفاع عن مصالحها، والعمل بالكتاب والسنة، كمنطلق للثورة المقدسة، وليس من أجل مطمع شخصي، أو ثأر قبلي، أو مصلحة فئوية.

قبل التصنيف المذهبي

ومعلوم أن الأمة الإسلامية ما كانت آنذاك تعيش انقساماً مذهبياً، ولا فرزاً طائفيّاً، حتى تصنّف ثورة الحسين ضمن حالة مذهبية أو

(١) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح سنن ابن ماجه ج١، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، (الرياض: مكتبة المعارف)، ص ٦٥، حديث ١٤٣. وأيضاً: أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد ج٦، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، (بيروت: عالم الكتب)، ص ٣٤، حديث ١٧٧٠٤.

طائفية معينة.

لقد خذلت الحسين جماهير الكوفة التي كانت تظهر الولاء والتأييد له، وبعثت له آلاف الرسائل تستحثه القدوم إليها، لتنضوي تحت رايته، فكانوا مصداقاً لما وصفهم به الفرزدق، حينما سأله الإمام الحسين عليه السلام وهو في طريقه إلى العراق عن أمر الناس وما وراءه؟ فقال له: قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية^(١).

وفي المقابل حظي بنصرة الإمام الحسين أشخاص كانوا ضمن أجواء بعيدة عن أهل البيت عليهم السلام، كزهير بن القين بن قيس البجلي، الذي تذكر المصادر أن هواه كان قريباً من الأمويين، وعندما خرج الحسين إلى العراق، كان زهير قد عاد من مكة أيضاً على نفس الطريق الذي يسير فيه الحسين، يقول الفزاري المصاحب له كما يروي الطبري: (كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير)^(٢) لكن هذا الرجل بعد أن التقى الحسين وحدثه تغيّر موقفه، وانضم إليه، وأصبح في طليعة أنصاره الشهداء.

وكذلك الحر بن يزيد الرياحي الذي كان قائداً عسكرياً بارزاً

(١) الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية ج ٨، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ص ١٧٤.

(٢) محمد بن جرير الطبري. تاريخ الطبري ج ٤، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، (بيروت: مؤسسة الأعلمي)، ص ٢٩٨.

في الجيش الأموي، وكان على رأس أول فرقة خرجت لمواجهة الحسين (عليه السلام) لكنه في اليوم العاشر من المحرم، وبعد أن سمع خطاب الحسين (عليه السلام)، ورأى شرعية موقفه، وجور الموقف الأموي، عدل إلى معسكر الحسين، وقاتل بين يديه، وفاز بالشهادة معه.

فالقضية كانت معركة بين الحق والباطل، بين الالتزام بالكتاب والسنة، والانحراف عنهما، والحسين كان يمثل موقف الشرع والحق، وقد نصرته ثلة مؤمنة تلتزم بالشرع، وتضحى من أجل الحق، وقاتلته جموع ضالة منحرفة، خضعت لسلطة الباطل، وخذلت نفوس مضللة جبانة استجابت للترهيب والترغيب، وآثرت المصالح الزائلة على رضا الله ونصرة الدين.

وكل ذلك بعيد عن الفرز المذهبي، حيث لم يكن هناك بَعْدُ سنة ولا شيعة، بهذا المصطلح الذي حدث فيما بعد من السنين والقرون.

النظرة الطائفية للتراث والتاريخ

ومن المشاكل التي نعاني منها الآن كمسلمين في تعاملنا مع تراثنا وتاريخنا، أننا نسقط الفرز المذهبي اللاحق، على تاريخنا السابق، فتعامل مع الأحداث والشخصيات والحقائق من خلال الفرز المذهبي الذي نعيشه، مما يفقدنا الموضوعية والإنصاف.

فنقدس شخصية، أو نهتم بحدث معين، إذا كنا نصنّفه ضمن دائرتنا المذهبية، ونهمل شخصية، أو نتنكر لحدث حقيقي، لأننا نعتبره

يصب في خانة المذهب الآخر.

وهذا هو بالضبط ما يحصل لقضية الإمام الحسين عليه السلام حيث يتعامل معها وكأنها قضية مذهبية، أو موضوعاً يخص الشيعة، ولا يعني بقية المسلمين.

مع أن شخصية الإمام الحسين عليه السلام موضع تقدير واحترام ومحبة كل المسلمين، ولا أحد ينازع في ذلك، ومقتله بتلك الطريقة الشنيعة مدان ومرفوض من قبل جميع المسلمين، فلا أحد يبرره أو يقبله.

فبدءاً ممن تبقى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كجابر بن عبد الله الأنصاري، وزيد بن أرقم، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، والموجودات من أمهات المؤمنين كأم سلمة، مروراً بطبقة التابعين، وأجيال الفقهاء والعلماء، والشعراء المسلمين، في جميع العصور، كلهم كانوا يبديون التألم والتفجع على ما أصاب الحسين عليه السلام وهناك قصيدة تنسب للإمام الشافعي في رثاء الحسين عليه السلام منها قوله:

فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفوس وقلوب
 ذبيح بلا جرم كأن قميصه صبيغ بباء الأرجوان خضيب
 تزلزلت الدنيا لآل محمدٍ وكادت لهم صم الجبال تذوب
 يُصلى على المبعوث من آل هاشم ويُغزى بنوه إن ذا لعجيب
 لئن كان ذنبي حب آل محمدٍ فذلك ذنب لست عنه أتوب^(١)

هكذا كانت قضية الحسين عليه السلام في العهود الإسلامية الأولى، محل

(١) جواد شبر. أدب الطف ج ١، ١٩٨٨م (بيروت: دار المرتضى)، ص ٢١٤.

اهتمام من قبل جميع المسلمين العارفين بمقام الحسين عليه السلام، قبل أن تستحكم حالة الفرز المذهبي، لتصبح القضية وكأنها تخص الشيعة، ولا يهتم بها غيرهم.

محاولات رائدة

ويقتضي الإنصاف أن نشيد ببعض الجهود الطيبة والمحاولات الرائدة، التي تجاوزت هذا السياق الخاطئ، لتتعاطى مع قضية الحسين عليه السلام في إطارها الإنساني والإسلامي، كبعض محاضرات الشيخ عبد الحميد كشك في مصر، التي خصصها للحديث عن ثورة الإمام الحسين ومقتله. وكتاب المفكر الأديب عباس محمود العقاد، بعنوان (أبو الشهداء الحسين بن علي)، وكتاب الأديب خالد محمد خالد: (أبناء الرسول في كربلاء)، وكتاب الشيخ عبداللّه العلايلي (سمو المعنى في سمو الذات)، وكتاب الدكتورة عائشة بنت الشاطئ (بطلة كربلاء زينب بنت علي).

والمسرحية الرائعة للأديب عبد الرحمن الشرقاوي، التي تقع في جزئين بعنوان (الحسين نائراً، الحسين شهيداً).

إن مثل هذه الجهود الطيبة، تشكل نماذج صادقة، لاختراق الحصار الذي فرضته حالة الفرز والتصنيف المذهبي الطائفي، على قضية ثورة الإمام الحسين، وهي قضية مهمة عظيمة، يمكن للأمة أن تستفيد من دروسها وعطاءاتها المتجددة.

بالطبع فإن قسطاً من المسؤولية يقع على عاتق الجانب الشيعي، بأن يوقر الأجواء المناسبة لإحياء هذه القضية في إطارها الإسلامي، وأن يبذل الجهود لإخراجها من التقوقع المذهبي الخاص. كما ينبغي أن تحظى مناسبة عاشوراء باهتمام لائق من سائر المسلمين، فلا يتعامل معها بتجاهل وإعراض. وتلك هي مسؤولية الواعين والمنصفين في الجانبين.

كربلاء جديدة

لم تعد كربلاء مجرد بقعة من الأرض في جنوب العراق، ولم يعد عاشوراء مجرد مقطع زمني سنة ٦١هـ، بل تحولت كربلاء بعد شهادة الإمام الحسين إلى عنوان لكل ميدان صراع بين الحق والباطل، وأصبح عاشوراء لحظة متجددة، تطلق على كل زمن تتألق فيه مواقف الصمود والتضحية، من أجل قضايا الحرية والعدل، حتى قيل كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء.

وبهذا الاعتبار فإن ما يجري في فلسطين الآن يجعلنا أمام كربلاء معاصرة، وعاشوراء جديد، حيث تقف إرادة الشعب الفلسطيني شامخة صامدة، تقدم الضحايا والقرايين، أمام قوة الجور والظلم الصهيوني، المتكئة على دعم أمريكا وحمايتها.

وكما أعلن الإمام الحسين عزمه على الثبات والمقاومة، مع اختلال التوازن العسكري بينه وبين الجيش الأموي قائلاً:

«ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر» فإن الفلسطينيين العزّل المحدودي الإمكانيات والقدرات، يعلنون الآن تمسكهم بحق مقاومة الاحتلال والطغيان.

وكما تعالت صرخات الحسين في صحراء كربلاء: «أما من مغيث يغيثنا؟ أما من معين يعيننا؟ أما من ذاب يذب عن حرم الله وحرم رسوله؟» فإن نساء فلسطين وأطفالها اليوم وهم يعيشون أبشع المآسي والفجائع يستصرخون ضمير العالم، ويستثيرون همم العرب والمسلمين، للوقوف معهم في أقسى محنة يتعرض لها شعب من الشعوب المعاصرة. إن ثورة الحسين تشكل مصدر إلهام لأبناء فلسطين الغيارى، ترفع معنوياتهم، وتشحذ هممهم، وتقوي إرادتهم، كما تقدم للأمة الإسلامية درساً بليغاً، في التحذير من خذلان الحق، والسكوت أمام عريضة الباطل والجور.

وكما أثمرت شهادة الحسين، ومآسي عترته، مجداً خالداً ونصراً ظافراً، طمس ذكر الأمويين ومحي باطلهم، فإن تضحيات الشعب الفلسطيني اليوم، وملاحم بطولاته الحاضرة، تصنع الآن مستقبل النصر والتحرير للقدس الشريف، وتشق طريق العزة والكرامة أمام شعوب الأمة العربية والإسلامية إن شاء الله.

وكما قرت عيوننا بالأمس القريب بتحرير جنوب لبنان، واندحار جيش الاحتلال الصهيوني، على أثر تضحيات المقاومين المؤمنين، فإننا على موعد قريب مع نصر جديد إن شاء الله، على أرض فلسطين،

باستمرار الانتفاضة الباسلة، وتضحيات المجاهدين الغيارى، وما ذلك على الله بعزيز.

التخاذل سبب المأساة

كيف حدثت مأساة كربلاء؟

وكيف تمكّن يزيد بن معاوية، وعبد الله بن زياد، وقادة جيشهما، من ارتكاب تلك الفظائع بسبط رسول الله وريحانته، وبالعترة النبوية الطاهرة؟

لقد منعوا الماء عن عيالات أهل البيت، وتركوهم يعانون شدة الظمأ والعطش، وذبحوا الأطفال الرضع، وقتلوا الحسين سيد شباب أهل الجنة، والفتية الهاشمية، ومن معهم من الأنصار أفجع قتلة، حزوا رؤوسهم، ورضّوا صدر الحسين بالخيول، ثم سبوا النساء والأطفال، وأخذوهم أسارى إلى الكوفة والشام، يتفرج الناس عليهم، وبلغت الجراة بيزيد وابن زياد أن صار يعبث برأس الحسين أمام الجمهور، وينكس ثناياه بعصاه.

كيف حدث كل ذلك؟ وأين كانت الأمة؟

لقد وقعت المأساة حينما صُورت المعركة وكأنها نزاع بين شخصين، أو طرفين على الحكم والسلطة، وساد موقف الخذلان جماهير الأمة، خوفاً من سطوة الحكم الأموي، أو رغبة في عطائه، وإيثاراً للسلامة والراحة.

ففسح ذلك المجال للسلطة الأموية أن تمارس جريمتها النكراء، وأن تكترس وجودها الظالم، لتعربد في ساحة الأمة، دون وازع وراوع، تنتهك الحرمات، وتصادر الحريات، وتعبث في الأرض فساداً، حيث أباح يزيد فيما بعد المدينة المنورة لجيشه، بقيادة مسلم بن عقبة، ثلاثة أيام سنة ٦٣هـ، فيما عرف بوقعة الحرة، يقول ابن كثير: (وقتل خلقاً من أشرفها وقُرَّائها وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شر عظيم وفساد عريض.. ثم استدعى (مسلم بن عقبة) بعمر بن عثمان بن عفان، وأمر به ففتفت لحيته بين يديه، وكان ذا لحية كبيرة.. قال المدائني: وأباح المدينة ثلاثة أيام، يقتلون من وجدوا من الناس، ويأخذون الأموال، ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.. وقال المدائني عن شيخ من أهل المدينة قال: سألت الزهري: كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ووجوه الموالي ومن لا أعرف من حر وعبد غيرهم عشرة آلاف^(١).

ولو أن رجالات الأمة وجماهيرها وقفت مع الإمام الحسين، ولم تخضع لإغراءات وبطش يزيد، لما حصلت مأساة كربلاء، ولما ضاعت كرامة الأمة، وحرمة مقدساتها.

أمتنا الإسلامية اليوم أمام كربلاء جديدة، فإذا ما تجاوزت الأمة عن شعب فلسطين، وفسحت المجال لجيش الصهاينة المعتدين، يقتل

(١) البداية والنهاية. ج ٨، ص ٢٢٨.

ويدمّر، ويعيث في أرض فلسطين فساداً، ويذيق أهلها ألوان الذل والهوان والمآسي، فإن الأمر لن يقتصر على فلسطين وأهل فلسطين، بل سيصبح العرب والمسلمون جميعاً تحت هيمنة الإذلال الصهيوني، وأطاع الصهاينة التوسعية واضحة، من خلال احتلالهم لأراضي عدة دول عربية، وتهديداتهم المستمرة لجميع البلدان الإسلامية.

إن على كل مسلم أن يفكر فيما يمكنه عمله، والقيام به، ضد هذا العدوان الصهيوني البشع، على مقدساتنا وأهاليها في فلسطين، وأن لا يرضى لنفسه بموقف المتابع المتألم لما يجري فقط، وأضعف الإيمان أن يضرع إلى الله تعالى بالدعاء، وأن يبذل ماله لدعم الانتفاضة في فلسطين، وأن يتبرع بدمه، وأن يقاطع البضائع الأجنبية المستوردة من الجهات الداعمة للصهاينة.

وحكوماتنا العربية والإسلامية عليها أن تتحمل مسؤولياتها أمام الله والتاريخ، فعار وخزي أن تشبث بعض الحكومات بعلاقتها مع إسرائيل مع كل ما يجري في فلسطين!!

الفهرس

٥	مقدمة الناشر
٧	المناسبات الدينية وفلسفة إحيائها
١٠	الثروات المعنوية
١٣	موسم المحرم
١٥	تعميق التدين
١٦	التنمية الاجتماعية
١٧	دروس عاشوراء
١٨	الوحدة الوطنية والإسلامية
٢١	القدوة الرسالية
٢٤	التبشير بالقيم
٢٤	التجسيد الحي
٢٥	للّه الحجة البالغة
٢٧	التفاصيل والمنعطفات

- ٢٧..... الأنبياء والأئمة
- ٢٩..... القدوات الزائفة ..
- ٣٠..... القدوات الرسالية
- ٣١..... تطوير الوسائل.
- ٣٣..... سيرة الأئمة ومناهج العرض.
- ٣٧..... مناهج العرض.
- ٣٧..... العرض التاريخي.
- ٣٨..... المنهج العاطفي.
- ٤٠..... الحذر من الوضع والاختلاق
- ٤٢..... جانب المأساة والمعاناة.
- ٤٢..... الطرح العلمي الحضاري
- ٤٣..... أفضل وثيقة سياسية.
- ٤٤..... منهجية العلماء الغربيين
- ٤٦..... اختيار المنهج
- ٤٩..... عاشوراء وقضايا الأمة ..
- ٥٢..... قبل التصنيف المذهبي ..
- ٥٤..... النظرة الطائفية للتراث والتاريخ
- ٥٦..... محاولات رائدة.
- ٥٧..... كربلاء جديدة
- ٥٨..... التخاذل سبب المأساة

عنوان المؤلف

المملكة العربية السعودية

ص.ب: ١٣٢٢ القطيف ٣١٩١١

هاتف: +٩٦٦ ١٣٨٥٥٥٢١٠

فاكس: +٩٦٦ ١٣٨٥١٢٦٠٠

الموقع على الإنترنت: www.saffar.org

البريد الإلكتروني: office@saffar.org